الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

خطبة جمعة

مع أهل العفة

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله رب العالمين، قيوم السماوات والأرضين ورب الخلائق أجمعين، إله الأولين والآخرين، أحمده سبحانه حمد الشاكرين الذاكرين، وأصلي وأسلم على إمام المتقين قائد الغر المحجلين، المبعوث بخير دين، الهادي إلى صراط الله المستقيم، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

عباد الله، كلنا يحتاج لتربية نفسه، وتهذيب أخلاقه، وتنقية وجدانه، وتصحيح سلوكه وتقويم مداركه، ليسعد نفسه قبل أن يسعد به الآخرون حوله، ولا يكون ذلك إلا بفاضل الأخلاق، وكريم السجايا وخصال الطيبة الحميدة، والمعاملة الكريمة، وتنقية النفس من الشرور والآثام، والترقي والسمو بالغرائز التي أودعها الله في الإنسان ليسعد بها لا ليشقى بها.

ومن هذه الأخلاق التي يسعد بها الفرد وتسعد بها المجتمعات خلق يحتاجه الصغار والكبار، والنساء والرجال، والشيب والشباب، هذا الخلق هو من الأخلاق التي تمثل عماد المجتمع، وتحافظ على نقاء وطهر الأمة، إنه خلق العفة.

وقد تحدثت عن العفة فيما مضى في خطبتين، كانت الخطبة الأولى تحت عنوان حراسة العفاف، وكانت الخطبة الثانية بعنوان العفة ورأس المكارم، وهذه الخطبة الثالثة عن العفة وهي تحت عنوان مع أهل العفة. لن أتحدث عن العفة وأحث الناس عليها، ولكنني سأتحدث عن نماذج مثلت وجسدت العفة، بل هي

العفة وهي الطهر وهي الفضيلة نفسها.

واخترت قبل أن أدخل وأن ألج وأن أتحدث عن هذه النماذج أن أتحدث عن بعض مظاهر غياب العفة، من الأمور التي تخدش العفة وتذهب الحياء، وتدلل على أننا بحاجة لهذه العفة. وأول هذه المظاهر الشارع والمظهر العام، الشارع الذي نراه والمظهر الذي نراه في الشارع الذي يدل، لا أقول على غياب العفة، إنما أقول على انعدام العفة. إن الذي يرى شارعنا لا يحسن الظن بنا أبدًا.

وأتخيل أن شخصًا جاء إلى السودان تملؤه أشواق المشروع الحضاري، وجاء وهو يسمع بالسودان أن فيه دينًا قد قام وأن شريعة قد طبقت، وجاء ودخل بلادنا وجاب شوارع الخرطوم، سيرجع خاسئ البصر ويرتد إليه خاسئًا وهو حسير، يقول: ما هذا؟ بشارع يمثل دولة وبلدًا فيه دين وفيه قيم وفيه أخلاق.

إنك من السهل جدًا أن ترى في الطريق فتى وفتاة يمسكان ببعضهما ويتحركان بصورة مريبة، وإنه من السهل جدًا أن ترى فتاة تمزح في الطريق وتضحك بأعلى صوتها وتقهقه وتتكلم، ومن السهل أن ترى فتاة تأكل في الشارع. أين والدها؟ ويا ترى هل هو يعرف أين ذهبت هذه الفتاة ومع من تجلس؟ وهل تم هذا برضاها؟ وإلى غير ذلك من التساؤلات الكثيرة جدًا.

الشارع يدل على أن العفة فيها خدش، وإن الشارع يدل على أن هذا المستوى الذي نعايشه مستوى لا يرقى بأهل العفة. العفة في المطعم والعفة في المشرب، والعفة في اليد والعفة في اللسان والعفة في الجوارح هي سمات المؤمن العزيز الذي يعيش في كل عصر بهذه العفة، فأين العفة في المظهر العام؟

مظهر عام يراه كل الناس، من السهل جدًا أن ترى هذه المناظر لا تستنكر لكثرتها، ولأنها صارت مألوفة، ولأنها صارت جزءًا من ثقافتنا البيتية عبر التلفزيون وعبر الفضائيات. وإني أعلن وأقول بكل صراحة إن أعظم أنواع الإرهاب الذي تعرضت له الأمة هو إرهاب حرب الأخلاق الضروس التي قضت على الأخضر واليابس، عبر جحافل الفضائيات الإباحية وعبر الشبكة العنكبوتية وعبر الأقراص الكمبيوترية والحاسبية، والتي تستهدف الشباب.

المظهر الثاني: اذهب إلى الفنادق والمسارح والصالات لترى فيها العجب، والنوادي، ولا سيما عند وجود مناسبة من المناسبات، عند مناسبات الأعراس يتخلى الناس عما يسمى بالعفة ويرتدون فستان الزفاف ويتركون أحسن لباس وهو العفة، فما عاد لباس العفة ساترًا. وذلك كله يحدث باسم التمدن المزعوم

الباطل، خاصة من أصحاب الأموال الطائلة وأصحاب رؤوس الأموال والبيوتات الفخمة التي تأبى أن أعراسها بصورة مبسطة، وذلك في باب التباهي والتفاخر، فتقام في نوادٍ وفي فنادق وعلى متون المسارح، نرى ونسمع ما يخدش ويذبح العفة ذبحًا.

ثالثًا: السيارات المظللة والبنات المتطرفات في الشوارع حاملات الجوال. تذبح العفة، لا عفة مع سيارات مظللة. عادي جدًا، تلقى في الميادين وفي الأحياء ناس واقفين عربات، عادي جدًا في الأحياء، هنا في هذا الميدان نحن نراه في ميداننا هذا، نراه، أين العفة؟ ألم أقل لك بأننا إذا عددنا مظاهر غياب وانعدام العفة سنقف على كثير من المظاهر.

رابعًا: من المظاهر التي تدل دلالة واضحة على غياب العفة ظهور الزيجات المشبوهة، والعلاقات السيئة الرديئة باسم الزواج، بالزواج العرفي والزواج السري الذي فقد مضامينه. انتشر هذا الزواج، لا أقول انتشارًا كبيرًا، مجرد انتشار هذا الزواج، هو جريمة في حق المجتمع وجريمة في حق الأمة. ينتشر عادي جدًا، يمشوا الاثنين لمأذون بدون أبوها. أين العفة؟ ألا يدل هذا على غياب العفة؟

خامسًا: كثرة اللقطاء. إذا كان عدد اللقطاء تسجل بهم بلاغات رسمية لدى محاضر الشرطة سبعمية اتنين وستين في الشهر داخل ولاية الخرطوم بس، سبعمية اتنين وستين طفل في كل شهر في هذه الولاية لا يعلم لهم أم ولا أب، هذا ما سجلت به بلاغات رسمية. أما الذين قام طبيب النساء والتوليد المجرم بإجهاضهن فالله بهن عليم.

بعدين ما تقول لي دي ناس معينين، الفساد ما عنده ناس معينين. هذا إن دل إنما يدل على أن الأمر عظيم.

قصة مأساوية وردت في صحف الأسبوع الماضي أو قبل أسبوعين: طفل لُفّ ووضع في الشارع، الكلام ده جابوه في الجريدة. اجتمعت كلاب الحي جميعها وأحدثوا مظاهرة وضجيج حتى خرج أهل الحي يظنون أن هنالك حرامي، ما لقوا حرامي. وهذا تعليقها: إنهم لم يمسوه بسوء، فكانت الكلاب أرحم به من أمه التي وضعته في الشارع.

لكن لما تخلى عنه أهل الأرض سخر الله له بهائم حيوانات ليعلم أن للبهائم والحيوانات أحيانًا دورًا ورسالة، وأن الإنسان إذا تخلى عن دينه أنه يتردى إلى هذا الدرك السحيق، فيصبح أسوأ من الحيوانات. شيء عجيب، هذا يدل على غياب العفة.

مظاهر غياب العفة كثيرة وواضحة في حياة الناس، في مناسباتهم وفي شوارعهم، يرون ذلك بأم أعينهم. أسأل الله تعالى أن يرد الجميع إليه ردًا جميلًا، وأسأله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضى، وأن يأخذ بنواصينا إلى البر والتقوى، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى اللهم وسلم وبارك وأنعم على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. النموذج الأول من نماذج العفة المشرقة المضيئة يوسف عليه السلام: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾، هيت يعني تعال.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾. بعض الناس جُبل أن لا يعرف غير العفة، بعض الناس لا يعيش إلا عفيفًا، ويأبى ذلك مهما أُغري ومهما أُغوي، بعض الناس لا يحتاج إلى كثير إغواء، إلى كثير إغراء. ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾، يقصد بذلك العزيز الذي رباه، ربي يعني رباني، أحسن مثواي، أكرمني وأدخلني في بيته، لا يمكن أن أخون هذه الأمانة. ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

قضية الشهوة من أخطر الأمور، لذلك جاء في حديث أبي برزة رضي الله عنه في مسند الإمام أحمد، قال صلى الله عليه وسلم: «إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى». يوسف عليه السلام صمد.

وكان يوسف أعزب ما متزوج، وكان فتى يتدفق حماسًا ويفيض حيوية وقوة ونشاطًا، وكان على قدر عظيم من الجمال، وكان ود البيت، الذي لو أنه دخل معها غرفة ومكث ساعات لما استغرب في ذلك المستريب، وكان يوسف غريبًا، فهو ليس من أهل مصر. وبعد ذلك وفوق ذلك كله، يوسف رقيق، والرقيق لا يطالب بما يطالب به الأحرار، فقد يجد من يلتمس له عذرًا. نحن نعيش في عصر نحتاج فيه إلى وقاية.

المشكلة الكلام عن العفة حار، حار لأنه أنا براعي لنفسي، قلت الليلة الخطبة عشر دقايق بس، عشان أنا تعبان وكده، وزنت الخطبة قلت أعملها عشر دقايق والموضوع ينتهي، لكن العفة تثير في النفس أشياء.

الذين قالوا بأن يوسف جلس منها مجلس الرجل من امرأته أخطأوا وجانبوا الصواب. يا أخي هو من الأول وغلقت الأبواب قال معاذ الله، الموضوع انتهى، إنه ربي أحسن مثواي، إنه لا يفلح الظالمون.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾. لم يهم يوسف بها، هي همت به، لكنه لم يهم لأنه رأى برهان ربه، وإلا ما فائدة برهان ربه؟ ولولا حرف امتناع لوجود، امتنع الهم لوجود البرهان. ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾، وليعلمنا يوسف عليه السلام درسًا عزيزًا وعظيمًا في خلق العفة.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾. دي رسالة من يوسف عشان ما تتلعب بالنار، ما تقول لي دي زي أختي، زي أختك في الدين ما في، زي أختك ما في.

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾. ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾. والله لمن أقرأ الآية دي بطني بتفور فورة من الغضب عليه، لكن زول ميت، راجل ما فوقه حرارة، رجل ميت.

يوسف عليه السلام ينبغي أن يدرس للناس جميعًا، إنه رمز، رمز الطهر ورمز النقاء. ومن العفة قوله صلى الله عليه وسلم: «ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله». والحديث في الصحيحين. العفيف في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله.

ومن أحاديث العفة ما قال أهل الجاهلية، في الجاهلية، الشنفرى الأزدي كان من الشعراء الصعاليك، بيتكلم عن واحدة بيمدح فيها، قال: لقد أعجبتني لا سقوطًا قناعها، إذا ما مشت ولا بذات تلفت. رجل جاهلي بيمدح مرة، قال كان مشت في الشارع وقناعها ما يسقط من وشه أصلًا.

كأن لها في الأرض نسيًا تقصه على أمها، وإن تكلمك تبلت، لما تتكلم معاك بتتمتم لأنها ما متعودة تتكلم مع الرجال.

أسأل الله أن يردنا إليه ردًا جميلًا. اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره لنا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين. اللهم ارحمنا وعافنا واعف عنا واشفنا يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك شفاءً عاجلًا غير آجل يا رب العالمين.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/sounds/مع-أهل-العفة/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com